MODERATION
Journal of Islamic Studies Review

MODERATION: Journal of Islamic Studies Review
Volume. 01, Number. 01, Maret 2021
p-ISSN : on Procces, e-ISSN : on Procces
Hlm : 1-22
Journal Home Page :
http://journal.adpetikisindo.or.id/index.php/moderation/index

الخطاب و علاقته بالنص عند الباحثين

Solahuddin
Institut Agama Islam Shalahuddin Al-Ayyubi (INISA) Tambun-Bekasi
mudir.alkhobir@gmail.com

Abstrak: *Artikel ini, menyajikan pembahasan tentang khitob (discourse/wacana) yang berkaitan dengn teks, baik secara lisan dan tulisan. Dalam kajian ini penulis berupaya mengemukakan dan mengembangkan makna khitob/wacana dari sekedar pada bacaan dan tutur kata, tetapi kepada makna yang sangat luas dengan mengemukakan berbagai macam definisi dari para ahli. Istilah khitob digunakan sebagai kata umum, yang merupakan padanan dari istilah discourse (bahasa inggris) yang dalam bahasa indonesi bisa bermakna wacana. Pada akhir akhir ini, para ahli telah menyepakati bahwa wacana merupakan satuan bahasa yang paling besar yang digunakan dalam komunikasi. Satuan bahasa dibawahnya secara berturut turut adalah kalimat, frase, kata, dan bunyi. Secara berurutan rangkaian bunyi membentuk kata, rangkaian kata membentuk frase, dan rangkain frase membentuk kalimat. Akhirnya rangkain kalimat membentuk wacana, dan wacana ini bisa berbentuk lisan atau tulisan. Penggunaan bahasa dalam komunikasi, baik secara lisan maupun tulisan, dapat berupa iklan, drama, percakapan, diskusi, debat, tanya jawab, surat, tesis dan makalah, dan sebagainya. Para linguistik sadar bahwa studi bahasa berdasarkan kepada pendekatan linguistik memiliki keterbatasan keterbatasan, yaitu hanya mampu menganalisis dan mengungkapkan persoalan bahasa sampai pada tataran secara gramatikal. Padahal ruang lingkup bahasa sangatlah luas, mencakup selurh aspek komponen kebahasaan meliputi fonologi, morfologi, sintaksis, simantik, dan wacana. Dengan memahami luasnya makna khitob dan keterkaitannya dengan taks, menjadi sebuah jalan untuk mengungkap hakikat bahasa secara sempurna.*

Kata Kunci: *khitab; teks gramatikal; fonologi; morfologi; sintaksis; simantik; wacana*

مقدمة

قد أصبح مصطلح الخطاب بصفة عامة عملية متداولة بين العديد من فروع المعرفة و الدراسة مثل : النظرية النقدية، علم الاجتماع، علم اللغة، علم الفلسفة، علم النفس الاجتماعي، و العديد من المجالات الأخرى، و كذلك العديد من الفروع الأخرى التى كثيرا ما تُركت غير معرفة أو محددة كما أن استخدامها ببساطة يعد معرفة عامة.

و لقد استخدم هذا المصطلح بتوسع في تحليل النصوص الأدبية و غير الأدبية، و هو في الغالب يستخدم للإشارة إلى شيء سفسطائى نظري بطرق غير واضحة ومشوشة في بعض الأحيان.

و من المحتمل أن يكون الخطاب له النطاق الأوسع من المعاني الواردة لأي مصطلح في النظريات الأدبية و الثقافية، علاوة على ذلك فهو في الغالب المصطلح الذي يوجد ضمنيا في النصوص النظرية التي على الأقل محددة أو معروفة[١].

و استخدام مصطلح الخطاب في الماضي كان المقصود منه الدلالة على الصياغة الشكلية للكلام أو الكتابة. ولكنه اكتسب في العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين – ونظرا لاستخدامه في مجالات معرفية مختلفة– عددا من المعاني الجديدة الإضافية التي زاحمت المعنى السابق وطغت عليه، وربما كان السبب الأساسي في تنوع هذه المعاني بروز الدراسات الألسنية الحديثة التي تأثرت بها نظرية الأدب والنقد الأدبي مع ظهور البنيوية في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من ذلك القرن[٢].

و لا شك أن في الاستخدامات المتعددة (لمصطلح ما) ، بحيث تعطي (دلالة) في حقل معرفي معين تختلف عنها في حقول المعرفة الأخرى ، ونجد أن مصطلح الخطاب شأنه شأن المصطلحات التي تكونت حولها ضبابية تعريفية ، بحيث إن التعريف الذي قدمه أحد الباحثين أو اللغويين يختلف عن التعاريف التي قدمها باحثون آخرون. لذا ظل (الخطاب) كمفهوم يقبل التأويل في حقول المعرفة الأخرى دون وضع إطار تعريفي محدد له بما يؤدي إلى تحديد خصائصه وسماته، وعلى نحو ينطبق عليه التعريف في حقول المعرفة المختلفة التي تستعين بمفهوم (الخطاب)،

---

[١] د. عصام خلف كامل : مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية و اللغوية المعاصرة، دار فرحة للنشر والتوزيع، ص : ٥.

[٢] د. ديان مكدونيل: مقدمة في نظرية الخطاب، ترجمة و تقديم : د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ط١، ٢٠٠١، ص : ٢٧.

إذا علمنا أن كثيراً من الخطابات تخضع للمعارف التي تستخدم فيها، كالخطاب السياسي، والخطاب الإعلامي، والخطاب الديني والخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي ....الخ[٣].

و نحن هنا لا نريد أن ندخل في معركة الاختلاف بين شتى التعريفات بما قدمها العلماء، و لا نريد أن نستغرق بالنظريات الغربية و ننشغل بالاختلاف فيها، لأن هذا ليس من هدف الباحث.

و لذلك سنورد هنا التعريفات المهمة و لها دلالة مقتربة منسجمة بدراستنا، ولا نريد الانشغال بالقضايا الكلامية الخاسرة و تضييع الوقت، و قبل أن نعرض ماهية الخطاب نريد أن نقول إن سبب اختلاف العلماء حديثا كان أم قديما في التعريفات هو شيء طبيعي، لأنهم تكلموا عليها حسب مشاربهم الثقافية والنظريات المختلفة و اللغات المختلفة. و شيء مهم الذي و جده الباحث هو أن الخلط والغموض والارتباك الذي طال بمصطلح (الخطاب) مرتبط بسببين ، هما:

١. إشكالية الأصالة ، ويتجلى أمرها في ظل ممارسات ثقافية كثيرة ومتنوعة تحاول أن تضفي على المصطلح دلالات حديثة وتعمل على انتزاعه من حقل معرفي ، وتستعمله في حقل معرفي آخر دون أن تراعي خصائصه التي اكتسبها ضمن حقله الأصلي ، الأمر الذي يغذي المصطلح بمفاهيم غريبة .

٢. إشكالية المعاصرة ، ويتجلى أمرها في ظل ممارسات ثقافية أكثر تواتراً وتنوعاً، تعمل على نقل المصطلح من ثقافة إلى أخرى ، دون أية مراعاة لخصائصه التي اكتسبها من البنية الثقافية الأصلية التي نشأ وتشّكل فيها ، دون مراعاة أيضاً لخصائص الثقافة التي يصار إلى استخدامها فيها[٤].

و نظرا لمجال دراسة الباحث هو: الخطاب و علاقته بالنص عند الباحثين ، فقد رأى ضرورة التعرض لبعض المفاهيم الأساسية المتعلقة بالخطاب.

و الآن نقدم فيما يلي مفهوم الخطاب، و لكي نتمكن من تحديد ماهية الخطاب بشكل دقيق و عميق، علينا الانطلاق من تعريف الخطاب لغة و اصطلاحا.

---

[٣] د. إبراهيم عبد الله ، إشكالية المصطلح النقدي (الخطاب والنص) ، مجلة أفاق عربية ، بغداد ، السنة الثامنة عشرة ، آذار ، ١٩٩٣ ، ص٥٧، نقلا عن : مقالة مفهوم (الخطاب) وسماته كتبها حبيب مال الله ابراهيم – كاتب واعلامي عراقي – بغداد.

[٤] نفس المرجع : ص٥٧.

مفهوم الخطاب و المخاطبات

الخطاب لغة

الخطاب من مادة خطب، يقال : خاطب خطابا، فهو مصدر بزنة : فاعل فعالا بخلاف الخطبة، فالأصل : خطب : خطبة و هي المصدر و المرة من خطب زنة فعل فعلة؛ يقال : خطب الناس و خطب فيهم و عليهم خطابة و خطبة : ألقى عليهم خطبة وهي ما يلقيه الخطيب على جمهور و يكون الإرسال فيها من طرف المرسل (الخطيب) فقط.

و يقال: خاطبه خطابا و مخاطبة : كالمه و حادثه، و وجه إليه كلاما أو خاطبه في الأمر : حدثه بشأنه[٥]. و معناه الكلام و المحادثة، و مراجعة الكلام والمشاورة فيه[٦] وهو الكلام بين اثنين [٧]. فالخطاب كلام موجه فيه مشاركة. فبناء "فاعل" يدل على المشاركة بين طرفي الخطاب، و دليل ذلك قوله تعالى : ((رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا))[٨] أي لا يملكون خطابه و هم أهل السماوات والأرض.

و لقد ورد في ((لسان العرب)) لابن منظور : الخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام، و قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان[٩]. و في ((أساس البلاغة)) إن الخطاب هو المواجهة بالكلام[١٠]، أو مراجعة بالكلام كما قاله الخليل[١١]. و في ((المعجم الوسيط)) الخطاب هو الكلام[١٢]، و في ((المنجد في اللغة العربية المعاصرة)) الخطاب هو الكلام الموجه إلى الجمهور

---

[٥] د/ محمود عكاشة : خطاب السلطة الاعلامى، ص : ١٦، و راجع كتابه : لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ص: ١٦.

[٦] أ. د. أحمد عبد الرحيم السايح: الخطاب الدينى والواقع المعاصر. قضايا إسلامية سلسلة تصدر غرة كل شهر عربى، العدد (١٢٨)، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص: ٩.

[٧] ابن فارس : (أبو حسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥ هـ) : مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط دار الجيل، بيروت، ١٤٤هـ،١٩٩١م جـ٢، ص: ١٩٨، مادة خطب.

[٨] سورة النبأ، أية : ٣٧.

[٩] ابن منظور : لسان العرب. دار المعارف، الطبعة الثالثة، جـ ٢ حـ– س، من مادة، ص: ١١٩٤.

[١٠] الزمخشرى : (محمود جار الله): أساس البلاغة. ذخائر رقم ٩٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ج ١، ص: ٢٣٩ من مادة: خـ – ط– ب.

[١١] الخليل بن أحمد الفراهيدى (١٠٠– ١٧٥ هـ) : العين، تحقيق الدكتور مهدى المخزومى، إبراهيم السامرائى، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، ط١٤٠٨هـ١٩٩٨م،ص: ٢٢٢/٤ خطب. و راجع الدكتور محمود عكاشة، خطاب السلطة الإعلامى، ص: ١٦، و لغة الخطاب السياسى، الدكتور محمود عكاشة، ص: ٣٤.

[١٢] إبراهيم مصطفى وأخرون ، معجم الوسيط ، استانبول ، دار الدعوة ، ١٩٨٩ ، ص ٢٤٣ .

من المستمعين في مناسبة من المناسبات[١٣]. إذا فالخطاب يقتضي حوارا و مشاركة، و لا خطاب إلا باعتبار تضمين معنى المكالمة، و هو الكلام الذي يقصد به الافهام، أو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه[١٤].

و قد قام علماء الفقه و التفسير و البلاغة قديما بدراسة الخطاب القرآني، فقتلوه بحثا، و توسعوا في دراسة الخطاب العربي، وتعد الدراسات الحديثة عالة عليهم، و ليس للمحدثين جديد في هذا الحقل إلا ما أضافوه إلى جهود القدماء من ترجمات عن الغرب، فعالجوا الخطاب المعاصر في ضوء الدراسات الغربية متجاهلين أحيانا جهود علمائنا، فعالجوا العربية في ضوء اللغات المعاصرة[١٥].

و بعبارة أخرى أن دراسة الخطاب ليست دراسة جديدة كما يظن بعض الباحثين، و قد ذكرت مادة الخطاب عدة مرات في القرآن الكريم؛ تارة بلفظ الْخَطْب، وتارة بلفظ الخِطاب، و تارة بصيغة الفعل[١٦]. و قد بحث علماء التفسير والفقه والبلاغة هذا الخطاب القرآني بحثا عميقا، ووضعوا الأسس العامة لمعرفة الخطاب العربي، ولكن هؤلاء يجهلون هذا الإنتاج الضخم، ولا يعلمون إلا ما كتبه الغربيون ويعد مصدرهم المعرفي، و ينكرون ما دون ذلك، و المرء عدو ما جهل[١٧].

---

[١٣] المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، بيروت ، دار المشرق ، ٢٠٠٠ ص ٣٩٦ .

[١٤] أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ص : ٤١٩ (فصل الخاء).

[١٥] لغة الخطاب السياسي، ص : ٣٦.

[١٦] انظر : د. عبد الواسع الحميري : الخطاب و النص " المفهوم – العلاقة – السلطة". مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ص : ١٥. و من المواضع التي ورد فيها بلفظ الخطب، يوجد في سورة :١- (الذاريات: ٣١)، ٢-, (القصص: ٣١)، ٣ – (يوسف: ٥١). و من المواضع التي ورد فيها بلفظ. لخطاب، يوجد في سورة :١ – (ص: ٢٠.)، ٢ – (ص،: ٢٣)، ٣ – (النبأ : ٣٧). و من المواضع التي ورد فيها بصيغة الفعل، يوجد في سورة :١ – (الفرقان: ٣)، ٢ – (هود،: ٣٧)، ٣ – (هود، أية : ٣٧).

[١٧] انظر دكتور محمود عكاشة : لغة الخطاب السياسى دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال. دار النشر للجامعات، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٤٢.

الخطاب اصطلاحا

الخطاب مثل أي مصطلح آخر له العديد من التعريفات[١٨]، و تعددت دلالاته بتعدد اتجاهات محلليه[١٩]. فقد عرفه العلماء اصطلاحا تعريفات عديدة، و كل واحد تكلم على حسب مشربه و مدى وجهة نظره. و لذا نستطيع أن نورد التعاريف المهمة. وأهمها ما قاله صاحب الكليات : " الخطاب هو الكلام الذي نتوجه به إلى الآخرين لتحقيق مقصدية ما "[٢٠]. و في بلاغة الخطاب و علم النص يقول أستاذنا الدكتور صلاح فضل: الخطاب : " كل قول يوجه لمستمعين "[٢١].

و يعرفه الدكتور محمود عكاشة، وهو التعريف الذي مال إليه الباحث واقتنع بفكره، أنه: " كلام موجه إلى متلق بقصد الإقناع والتأثير أو المشاركة الكلامية بين طرفي الاتصال حوارا أو مشافهة أو كتابة للتأثير والإقناع و تحقيق مقاصد اتصالية. ويقابله في الاصطلاح الغربي : Discours ويعنى: حديث و خطاب موجه ومحاضرة ومقالة ورسالة. و يدخل فيه الحجاج والمحاورة والمناظرة، و كل أشكال التفاعل اللغوى في التواصل الاجتماعى سواء أكان منطوقا أم مكتوبا. و حمل معنى الخطاب على بنية النص و تراكيبه، و بعض العلماء يريد به النص كله و بعضهم يحيزه في جملة موجهة و بعضهم يراه في شكل لغوى موجه[٢٢].

و قال محمد محمد يونس علي : "الخطاب هو النص اللغوي بعد استخدامه، وهو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب إلى المخاطب، ويتسم بأنه كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء" [٢٣].

---

[١٨] د. عصام خلف كامل : مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية و اللغوية المعاصرة، دار فرحة للنشرر والتوزيع، ص : ١٠.

[١٩] د. محمود عكاشة : لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥ م، ص: ٣٩.

[٢٠] أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ج ١، ص : ٤١٩.

[٢١] د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص، دار عالم المعرفة، ط ٢، ١٩٩٤ م، ص : ٧٦.

[٢٢] د. محمود عكاشة : خطاب السلطة الإعلامي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مكتبة دار المعرفة، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، ص : ١٧. و راجع إلى كتابه : لغة الخطاب السياسي، ص :٣٤ – ٤٠ و قد تناول فيه آراء العلماء في معنى الخطاب لغة و اصطلاحا.

[٢٣] د. محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، ليبيا : مطابع أديتار، ب–س، ص ١٣٥. و راجع إلى: شمس الدين بن أحمد زاوية : الخطاب الدعائي في الإعلام المقروء, رسالة الماجستير في معهد البحوث و الدراسات العربية، قسم الدراسات اللغوية و الأدبية بالقاهرة ٢٠٠٣، ص: ٦٩.

و أما الخطاب عند الغربيين[٢٤]: "فهو كلام موجه يتكون من مجموعة متشابكة من الجمل يتواصل به طرفان من أجل تحقيق مقصديهما من التواصل، أو وحدة متصلة متماسكة تشكل رسالة ذات بداية و نهاية " [٢٥].

أو كل خطاب يتواصل به المجتمع، و يتفاعلون به. و هي مفاهيم تؤكد أن الخطاب يقع في وسط اجتماعي يتواصل، و هذا الخطاب مؤلف من مادة لغوية، وأضافت الدراسات الحديثة الحركات و الإشارات و الرموز إلى الخطاب الشفاهي (المنطوق)، و بعض الدراسات اهتمت باللغة فقط، و بعضها اهتمت بالمقاصد الاتصالية، و بعضها اهتم بالمجتمع الذي يتواصل باللغة، و بعضهم استدرك على اللغة التواصلية العناصر غير اللغوية : الحركات و الإشارات و الرموز و الزي و الهيئة وغير ذلك من الأشياء التي تدل على معنى في العالم الخارجي. و هذه العناصر مجتمعة جزء من التواصل الاجتماعي، و هي الأصل في النص المكتوب و الذي يقوم على بنية لفظية دون العناصر التى تشارك من خارجها، و لكن المفسر للخطاب المكتوب لا يستطيع الاعتماد على البنية النصية وحدها دون أن يستعين بظروف إنتاجها، و العالم الخارجي و العناصر غير اللغوية التي ارتبط بها النص[٢٦].

---

[٢٤] الغربيون، و منهم : ١- بنفيست Benveniste، قال: بأنه كل قول يفترض متكلما ومستمعا، ويكون لدى المتكلم مقصد التأثير في الآخر على نحوما. ٢- هاريس Harris، قال: بأنه ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، و بشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض. ٣- ديان ماكدونيل Daine Macdonell فيقول : الخطاب عمل اجتماعي تعتمد فيه العبارة (أعني الكلمات والمعاني المستخدمة فيها) على الموضع الذي ألقيت فيه هذه العبارة، وعلى الشيء الذي كانت موجهة له. ٤- جين آدم : "الخطاب هو متوالية متناسقة من أفعال الخطاب".

[٢٥] د. محمود عكاشة : خطاب السلطة الإعلامي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ص : ١٧. و راجع إلي كتابه : لغة الخطاب السياسي، ص :٣٤ – ٤٠، و سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير)، المركز الثاقفي العربي، بيروت، دار البيضا، المغرب، ط ٤، ٢٠٠٥، ص : ١٧ و ما بعدها، و د. ديان مكدونيل: مقدمة في نظرية الخطاب. ترجمة: د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ط١، ٢٠٠١ م، ص : ٢٧ و ما بعدها.

[٢٦] المرجع السابق : خطاب السلطة الإعلامي، ص : ١٧.

وبالنظر إلى التعريفات السابقة يتضح أن الخطاب :

١. هو عبارة عن مواجهة الآخرين بالكلام، أو هو نظام صياغة الكلام المؤثر في الآخرين و تنظيمه، و التوجه به إليهم بطريقة معينة تجعله قادرا على التأثير فيهم وإقناعهم بوجهة النظر التي يتبناها المتكلم أو المخاطِب.

٢. يتحول إلي شيء يتوجه إلى وعي المخاطَب لتغيير شأنه و حاله، فيشتبك خطاب المخاطِب مع وعي المخاطَب في حوار وجدل يشتد بحسب قوة و فاعلية الخطاب، واستقرار وعي المخاطب و قناعاته و عاداته و مألوفاته السابقة على تلقيه للخطاب التغييريِّ[٢٧].

٣. و لفظ الخطاب يراد به اللغة التي تتفاعل مع الأحداث و ترتبط بالعالم الخارجي، وتدخل فيها لغة الخطاب اليومي المنطوقة، و ما يعرف بلغة الحوار، و المحادثة، والحجاج، و الخصام، و اللجاج، و الملاحاه، و لغة الإعلان، والرسائل، و المكاتبات، والقرارات، و البرقيات. و نلخص إلى : فلفظ الخطاب جامع أشكال اللغة التي تتفاعل مع العالم الخارجي و تعبر عنه تعبيرا حيا مباشراً و غير مباشر، ويعد العالم الخارجي جزءا من دلالتها، فتحيل إليه و تعبر عنه[٢٨].

و قد تأثرت الدراسات العربية بالدراسات الغربية، و ظهرت دراسات عربية صدى لهذه الثقافة الوافدة، و تنوعت الاتجاهات تأثرا بالمذاهب الغربية و مدارسها في بحث اللغة، و علاقتها بالعلوم الإنسانية الأخرى. و يرجع تاريخ بحث مفهوم الخطاب – بالمفهوم العام : الأدبي و اللغوي إلى علم الألسن Linguistique الذي ظهر فى العصر الحديث، و هو العلم الذي يهتم بدراسة اللغة و يعتبرها انعكاسا للواقع الثقافي والاجتماعي و السياسي.

---

[٢٧] تقديم بقلم أ. طه جابر العلواني في كتاب النص القرآني من الجملة إلى العالم للدكتور وليد منير، سلسلة المنهجية الإسلامية، ١٤، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣ م، ص : ٨.

[٢٨] د.محمود عكاشة : البناء الصرفي في الخطاب المعاصر – دراسة في الخطاب السياسي و الخطاب الإعلامي و أثرها في أبنية اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م، ص : ٧.

و قد امتد نشاط اللسانيين فى البحث اللغوي، فتعدوا إطار اللغة إلى دراسة الظاهرة الكلامية أو الاتصالية عامة. فوسعوا مجال الدراسة إلى دراسة الخطاب المنطوق و المكتوب. و أصبح الخطاب بالمعنى الألسنى الواسع، يعني كل إنتاج ذهني منطوق أو مكتوب، يقوله فرد أو جماعة رسمية اعتبارية ((كالمؤسسات المختلفة التي تنتج الخطاب السياسي و القانوني و الأدبي ...)) و قد يأتي هذا الخطاب في شكل محادثة عادية مشافهة أو حوار رسمي أو مقال مكتوب أو رسالة أو مكاتبة أو خطبة أووثيقة أوبرقية أو تصريح أو تعليق، أو غير ذلك من الأحاديث الموجهة في التواصل الجمعي أو الزوجي (بين اثنين) [٢٩].

و في التقليد الأوربي يغلب استخدام "النص"، على حين يغلب استخدام "الخطاب" في التقليد الأنجلو أمريكي. بيد أن التداخل بين النص و الخطاب حيث هما مصطلحان مِحوريان و علمان لسانيان، مما لم يحسم أمره في الأدبيات. و من خلال دراستنا رأينا أن هناك عبارات مثل : " خطاب النص" و "نص الخطاب" و "النص بنية خطابية" و"الأدب خطاب نص" و "الخطاب النصي" و "إدراك الخطاب بوصفه نصا" و "النص بوصفه خطابا" و غير ذلك. و بهذه المظاهر يمكننا القول إن هناك تداخلا و اشتباكا في هذين المصطلحين[٣٠].

و يسمح لنا القول : "و على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها باحثون غربيون وعرب، و لا يزالون في سبيل بناء و تطوير مفهومي : الخطاب و النص، فإننا لا نزال نشعر بأن ثمة حاجة ملحة لمزيد من النظر و التدقيق في هذين المفهومين على الأقل، والنظر في مواقف الباحثين منهما علاقة و تمييزا ".

و هدف الباحث في هذا المبحث هو محاولة إعادة النظر في موقف الدارسين من مفهوم علاقة الخطاب و النص و الفرق بينهما عند الأصوليين و الغربيين و العرب (محور خاص في التمييز بينهما)، و النظر في البنية والمرجعية بينهما، وهل لكل منهما ماهية مستقلة عن ماهية الآخر؟

---

[٢٩] نفس المرجع : ، ص : ١٨..

[٣٠] د. محمد العبد : النص و الخطاب و الاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط ١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ص : ٧. بتصرف.

في البداية، يمكن القول أن تعريف النص و الخطاب شيء مألوف عند كثير من الدارسين، يقول روجر فاولر Roger Fowler : " إن كل نص خطاب، فعل لغة من لدن مؤلف ضمني، له تصميم محدد لقارئ ضمني محدد الهوية "[٣١] و تقول جوليا كريستيفا Julia Kristeva :" النص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العلم والأيديولوجيا و السياسة "[٣٢].

و قد استُعمِلَ مصطلحا ''النص'' و ''الخطاب'' أوالعكس في النقاشات الحديثة حول بنية اللغة فيما وراء مستوى الجملة دون تمييز حاد بينهما و عموماً توجهت النقاشات ذات الأساس أو الهدف الاجتماعي إلى استعمال مصطلح الخطاب1980 (Discourse) ، في حين اتجهت تلك النقاشات ذات الأساس أو الهدف اللغوي إلى استعمال مصطلح '' النص Van) '' (Dijk 1978، وعندما تكون مادية اللغة وشكلها وبنيتها هي الموضوع يتجه التأكيد ليكون نصيّاً، و حيث يكون محتوى اللغة ووظيفتها ودلالتها الاجتماعية هي الموضوع، تتجه الدراسة للخطاب. نقول '' تتجه '' لأن المسألة ليست قاطعة ، وهنالك مقترحات مثل مقترح فان دايك (Van Dijk 1978 1981)لتأسيس تمييز بين المصطلحين لا يتصادف مع التمييز المخطط آنفا[٣٣].

في هذا البحث، يُرسم التمييز بشكل ثابت و على أسس نظرية بحيث يكون لكل مصطلح حقله المرجعي الخاص المحدد والمميز جداً . و يتميز الخطاب عن النص على المستوى المرجعي من جهة، أن مرجع الخطاب خارجي مقامي، يتجلى في شبكة العلاقات القائمة (بالقوة أو بالفعل) بين أطراف العملية التخاطبية؛ المخاطِب و المخاطب والواقع من خلال اللغة. أما مرجع النص، فتداخلي؛ نصي أو نصوصي (مقالي)، و هو يربط – باعتبار السياق- بالتناص كنسيج لعلاقات تجسدها عملية الكتابة و القراءة[٣٤].

---

[٣١] فاولر، روجر : اللسانيات و الروايات، ترجمة : حسن إحمامة، دار الثقافة، دار البيضاء، ط١، ١٩٩٧، ص : ٦٦، و: النص و الخطاب و الاتصال، ص : ٩.

[٣٢] كريستفيفا، جوليا : علم النص، ترجمة : فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٧ م، ص: ١٣. و نفس المرجع : النص و الخطاب و الاتصال، ص : ٩.

[33] Gunther Kress (1985) ''The Ideological Structures in Discourse''. in Teun Nan Dijk(ed) Handbook of Discourse Analysis Vol.4. London: Academic Press. البنى الأيديولوجية في الخطاب غونتر كريس، ترجمة : عادل الشامري.

[٣٤] د. عبد الواسع الحميرى : الخطاب و النص، المفهوم العلاقة و السلطة، ص : ١٧٥ و انظر : انفتاح النص الروائي، ص : ٢٥.

و إن الخطاب صنف يؤخذ من المجال الاجتماعي و ينتمي إليه، والنص صنف يؤخذ من المجال اللغوي و ينتمي إليه، والعلاقة بين الإثنين علاقة تجسد، فالخطاب يجد تعبيره في النص : على أي حال، هذه العلاقة ليست علاقة مباشرة مطلقاً ، فقد يكون النص الواحد تعبيرا أو تجسيداً لعدد من الخطابات المتنافسة و المتعارضة أحياناً.

ويتضح من هذا أن العلاقة بين النص و الخطاب ليست علاقة مباشرة كلياً. ويمكن القول أن العلاقة بين الخطاب و النص هي علاقة انبثاق، فالخطاب يظهر في النصوص و من خلالها. الخطاب ليس ببساطة تجمعاً للنصوص و إنما من جهة البنية: ''التجريدية'' لتجمع ما، و هو من جهة أخرى متأثر و مبهم بواسطة تأثير النوع. فضلاً عن ذلك قد يكون نص ما نتيجة تعبير عدد من الخطابات المختلفة و غالباً المتعارضة. ومن هنا فإن نصّاً ما هو بالكاد ''من قطعة واحدة'' طبقاً للسمات اللغوية التي يحتويها أو للخطابات التي يعبر عنها[٣٥].

و لكي نوضح هذا الموضوع بشكل دقيق و عميق، نورد موقف الباحثين من علماء الأصول و الغرب و العرب، ماذا قالوا ؟.

الخطاب و النص عند الأصوليين

أما عن الفرق بينهما فيمكن القول : إن الخطاب عند الأصوليين ، قد بدا أعم و أشمل من النص، بدليل أنهم جعلوا الخطاب هو محور دراستهم، و تناولوه بوصفه موضوع علم أصول الفقه الذي بنيت قواعده على خطاب الله سبحانه، و خطاب الرسول ، و فحواهما و دليلهما ولحنهما ومعناهما المستنبط منهما، و قياس المسكوت عنه على المنطوق به، بما يوجبه الاستنباط من التعليل، ما أوجب تقديم بيان الخطاب واستيفاء القول فيه، لاشتماله على أبواب الأوامر و النواهي و الأخبار، و ما تفرع عليهما من الإيجاب و الندب و الكراهة والحظر، و التقييد و الإطلاق، و العموم والخصوص، والناسخ و المنسوخ، و فحوى الخطاب و دليله، و معناه[٣٦].

---

[35] Gunther Kress (1985) ''The Ideological Structures in Discourse''.in Teun Nan Dijk(ed) Handbook of Discourse Analysis Vol.4. London: Academic Press. و **البنى الأيديولوجية في الخطاب غونتر كريس، ترجمة : عادل الشامري.**

[٣٦] انظر : كشف الأسرار، شرح المصنف على المنار، حافظ الدين النسفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٩ م، ج ١، ص : ٣٧٤. نقلا عن الخطاب و النص " المفهوم – العلاقة – السلطة، د. عبد الواسع الحميري، ص : ٤٥.

انظر : تقديم بقلم أ. د. طه جابر العلواني في كتاب النص القرآني من الجملة إلى العالم للدكتور وليد منير، ، المعهد العالي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الاسلامية، ١٤، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣ م، ص :٧.

و لذلك و جدنا علماء الأصول عموما ينظرون إلى النص بوصفه شكلا خاصا من أشكال الخطاب، أو بوصفه إحدى أهم طرق التدليل الخطابي، أو أحد التجليات الممكنة للخطاب عموما. ما جعلهم ينظرون إلى النص في علاقته بالخطاب عموما، بوصفه فضلا عن ذلك، أحد أهم وسائل إنتاجه و تلقيه، أو بوصفه السياق التداولي. ويؤكد هذا بالإضافة إلي ما سبق، أنهم جعلوا النص أحد أسماء الخطاب، أو إحدى أهم صيغه الأربعة المعتمدة عندهم في عملية الدلالة على الأحكام الشرعية؛ باعتبار أن من الخطاب ما يكون ظاهرا، و منه ما يكون نصا، ومنه ما يكون مفسرا، و منه ما يكون محكما؛ فهذه أربع صيغ للخطاب هي : الظاهر و النص و المفسر و المحكم، و يقابلها أو يتضاد معها في الوقت نفسه، أربع صيغ أخرى، هي : الخفي الذي يقابل الظاهر، والمشكل الذي يقابل النص، و المجمل الذي يقابل المفسر، و المتشابه الذي يقابل المحكم[٣٧].

و هذا يقتضي أن للخطاب في وعي الأصوليين عموما، ثماني صيغ أو قل : إنه يأخذ طريقه إلي الوجود عبر صيغ ثمان متقابلة على النحو الآتي :

١	لظاه	.....	٢	لخفي
٣	النص	.....	٤	المشكل
٥	المفسر	.....	٦	المجمل
٧	المحكم	.....	٨	المتشابه

[٣٧] د. عبد الواسع الحميري : الخطاب و النص، ص : ٤٦.

و هذا يقتضى النظر إلى الخطاب بوصفه المعنى أو القضية (الحكم) المدلول عليه بكل طرق الدلالة الممكنة، أو هو مضمون الحكم الشرعي المطلوب من البشر فهمه و التزامه. في حين النص هو الدال الدليل على الخطاب، أو هو إحدى أهم طرق الدلالة الممكنة عليه.

و هذا يقتضي أن النصوص تتعدد و تتنوع بتعدد الخطابات، و بتعدد و تنوع طبيعة العلاقة الناشئة بينهما و بين تلك الخطابات. ما يسمح لنا بالقول، انطلاقا من كل ما سبق، إن النص في علاقته بالخطاب عبارة عن ثلاثة أنواع ممكنة؛ لأنه لا يخلو :

١) إما أن ينصص الخطاب كما هو و من حيث هو.

٢) إما أن ينصص " موقفنا الخطابي" و ما أعنيه بالموقف الخطابي. وينشأ عن هذا الموقف و يعبر عنه " نص التعبير" أو " نص الكلام التعبيري ".

٣) و إما أن ينصص موقفنا من الخطاب، صراعنا مع الخطاب؛ علاقة التنائي التي تربطنا به، و ينتج عنه " نص التفرد والاختلاف "[٣٨].

[٣٨] د. عبد الواسع الحميري : الخطاب و النص " المفهوم – العلاقة – السلطة"، المرجع السابق، ص : ٤٥ – ٤٧ بتصرف.

الخطاب و النص عند الغربيين

و هنا نعرض خلاصة مكثفة لموقف الباحثين الغربيين من كل منهما، و طبيعة الفرق بينهما، على نحو يسمح لنا بالقول : إن موقف هؤلاء الدارسين من مفهوم النص و الخطاب، قد تباين تباينا أدى إلى تداخل دلالتهما حينا، و تقاطع تلك الدلالة حينا، وتكاملها أحيانا أخرى.

و قبل الخوض في هذا الكلام، يمكن القول إن هناك موقفين من الباحثين من طبيعة العلاقة بين كل منهما و قد تمحورت بشكل عام حول موقفين رئيسين :

١) موقف يقوم على عدم التمييز بينهما، و استخدامهما بمعنى واحد، أو للدلالة على شيء واحد، هو العمل الأدبي الذي ما فتئ أصحاب هذا الموقف يطلقون عليه، تارة مصطلح خطاب، و تارة مصطلح نص، منطلقين في ذلك – ربما – من عدم قدرة اللغة التي يستخدمونها على استيعاب الفرق بين المصطلحين، و أصحاب هذا الموقف كثير، ويصعب حصرهم أو تصنيفهم[٣٩]. و أصحاب هذا الموقف منهم : جنيت و تودروف، وفاينريش...) إنهم لا يميزون بين الخطاب و النص. و في رأيهم أن الخطاب و النص يُستعملان بالدلالة نفسها. لذلك عندما نصادف الخطاب السردي أو النص السردي في كتابات جنيت أو توردوف علينا ألا نفكر في اختلافهما دلاليا، و إنهما يحملان معنى واحدا[٤٠].

٢) و موقف يقوم على التمييز بينهما، و استخدامهما بمعنى مختلف، أو للدلالة على معان و قيم نوعية مختلفة؛ ينطوي عليها أو يقوم على أساسها كل عمل أدبي. وأصحاب هذا الموقف في جملتهم، أربع فئات:

فئة حاولت إقامة الفرق بين النص و الخطاب على أساس تكاملي، أي على أساس أن النص يمثل شكل العمل الأدبي، أو بنيته السطحية الظاهرة. أما الخطاب فيمثل مضمونه الباطن، أو بنيته العميقة؛ الأول أي النص يمثل دالّ العمل الأدبي، أما الثاني فيمثل مدلوله.

---

[٣٩] د. عبد الواسع الحميري : الخطاب و النص " المفهوم – العلاقة – السلطة"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ص : ١٢٢.

[٤٠] انظر : سعيد يقطين : انفتاح النص الروائي النص و السياق، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ٢، ص : ١٠ – ١١.

و من الباحثين الذين يمثلون هذا التوجه، روجر فاولر Roger Fowler الذي عرف النص بأنه : "البنية السطحية الأكثر إدراكا و معاينة"[٤١].ليعرف الخطاب، من ثم بأنه : "ما تؤديه اللغة عن معتقدات الكاتب و تطور أفكار الشخصيات و قيمها و الراوي و الشخصيات و القارئ"[٤٢].

فالنصية و الخطابة إذن، في منظورنا، قيمتان نوعيتان مختلفتان، أو لنقل إنهما صفتان مختلفتان ينطوي عليهما، أو يمكن أن يوصف بهما موصوف واحد، هو العمل الأدبي؛ أن الأولى منهما (النصية) مما يتعلق بالشكل الحسي، أو بالجانب المادي من العمل الأدبي، ما نراه أو نلمسه، أو ندركه بإحدى حواسنا.

أما الثانية (الخطابية) فمما يتعلق بالمضمون أو بالجانب المعنوي من العمل، ما تحيل عليه اللغة، أو ما ندركه بالعقل من المعتقدات و الأفكار. فالأولى تتعلق بالشكل المعبر، أما الثانية فتتعلق بالمقاصد و الأغراض المعبر عنها.

فئة ثانية من الباحثين، حاولت إقامة الفرق بين النص و الخطاب على أساس ما بينهما من عموم و خصوص، أو على أساس أنهما يتفقان في شيء أو صفة، و يختلفان في شيء أو صفة أخرى، أو في جملة صفات، فهما يتفقان في أصل طبيعتهما، أو فيما يشكل أصل تلك الطبيعية، و لكنهما يختلفان من حيث زاوية النظر إليهما، أو إلى ما يشكل أصل طبيعتهما.

من هنا يرى الباحث بعض الباحثين و في مقدمتهم : ليتش و زميله شوروت، وهما من أقطاب المدرسة الأسلوبية الجديدة، رأيناهما ينظران إلي الخطاب بوصفه؛ تواصلا لسانيا ينظر إليه كإجراء يتم بين المتكلم و المخاطب، أو بوصفه فعالية تواصلية؛ يتحدد شكلها بواسطة غاية اجتماعية، في حين ينظر إلي النص بوصفه، تواصلا لسانيا ينظر إليه كمرسلة مشفرة عبر وسيطها المكتوب أو الشفوي.

و من هنا، و تبعا لهذا التمييز، يتصل الخطاب بالجانب التركيبي. أما النص فيتصل بالجانب الكرافي في خطيته، كما يتجلى لنا على الورق[٤٣].

---

[٤١] سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي، المرجع السابق : ٤٢.

[٤٢] الخطاب و النص, ص : ١٢٣.

[٤٣] الخطاب و النص " المفهوم – العلامة – السلطة"، ص : ١٢٣

فالفرق بين النص و الخطاب إذن، ليس فرقا راجعا، في منظور هذين الباحثين ، إلي أن كلا منهما من طبيعة مختلفة، أو من أصل مختلف، أو لنقل إنه ليس فرقا كامنا في أصل طبيعتهما، أو فيما يشكل أصل تلك الطبيعة، فأصل طبيعتهما واحد، كما أشرنا؛ لأن كلا منهما قد وصف بأنه عبارة عن عملية "تواصل لساني" أو عبارة عن "فعالية تواصلية لسانية" و لكنه فرق راجع أو متعلق بزاوية النظر إلى هذا الفعل، أو بمنهج الرؤية إلى تلك الفعالية للسانية التواصلية، فإذا نظرنا إلى تلك الفعالية من زاوية شروط إنتاجها، وأنها عبارة عن إجراء يتم بين المتكلم و المخاطب، أو عبارة عن فعالية تواصلية يتحدد شكلها بواسطة غاية اجتماعية، فإننا نكون حينئذ إزاء خطاب، و يكون عملنا الذي نقوم به في مثل هذا السياق، بمثابة تحليل للخطاب الكائن و الكامن في العمل الأدبي. أما إذا نظرنا إلى ذلك الفعل اللساني التواصلي، من زاوية شروط تلقيه، و أنه عبارة عن مرسلة مشفرة عبر وسيطها المكتوب أو الشفوي، فإننا حينئذنكون إزاء نص ، و يكون عملنا الذي ننهض به في هذا السياق بمثابة تحليل للنص الكامن في العمل الأدبي. فالخطاب إذن عبارة عن فعل التلفظ منظورا إليه من زاوية أنه فعل صادر عن فاعل، تحكمه جملة من الشروط الاجتماعية و الثقافية. أما النص فعبارة عن الملفوظ في ذاته أو من زاوية علاقته بالمستمع أو القارئ.

لنخلص من هذا إلي القول، بأن هذا الفريق من الباحثين قد أقام الفرق بين النص و الخطاب على أساس أن الخطاب إنما يتمثل فيما نقوله أو نكتبه، أما النص فيتمثل فيما نسمعه أو نقرؤه، و هذا يعني أن الخطابية سمة نوعية متعلقة بعملية الانتاج في حين النصية سمة نوعية متعلقة بعملية المتلقي.

– على أن ثمة فئة من الباحثين، حاولت إقامة الفرق بين النص و الخطاب على أساس ما بينهما من تداخل و تمازج، أو على أساس أن النص هو ما ينصصه الخطاب، أي ما يظهره الخطاب و يبرزه، و من هنا رأينا فان ديك يعرف النص بأنه " البناء النظري المجرد" أو بأنه "وحدة ذهنية مجردة"، لا تتجسد إلا من خلال نظر مجرد، و بين سياقه التداولي، كما يتجلى من خلال الخطاب. لذلك يمكننا أن نعرف الخطاب، انطلاقا من منظور فانديك، بأنه ((السياق التداولي للنص)). لذلك وجدناه يقول في مادة "نص" في معجم الأدب، إن الخطاب هو في آن واحد,

فعل الإنتاج اللفظي (للنص) و نتيجته الملموسة و المسموعة و المرئية[٤٤].

– و هناك فئة رابعة من الباحثين أقامت الفرق بين النص و الخطاب، على أساس المظهر الكتابي الذي يتحلى به النص دون الخطاب، و من الباحثين الذين يمثلون هذا التوجه، بول ريكور الذي عرف النص بأنه "كل خطاب مثبت بواسطة الخطية الكتابة. فالكتابة كمؤسسة لاحقة للكلام، استعملت لتثبت بواسطة الخطية الكرافية كل التفصيلات التي تجلت شفويا أولا، و بذلك ترتبط الكتابة بعملية القراءة، و تجعل النص مختلفا عن الخطاب الذي نجد العلاقة فيه بين المتكلم و المستمع مباشرة، و في مقام وذات إحالة مشتركة[٤٥].

و هذا يعني أن الخطاب نشاط تواصلي يتأسس أولا و فبل كل شيء في اللغة المنطوقة، بينما النص مدونة مكتوبة. فالخطاب تنتجه اللغة الشفوية، بينما النصوص تنتجها الكتابة، أو كما قال روريرا سكابيت، اللغة الشفوية تنتج خطاب، بينما الكتابة تنتج نصوصا، و كل منهما يحدد بمرجعية القنوات التي يستعملها.

لذلك نجد أن الخطاب وفق هذا المنظور، لا يتجاوز سامعه إلي غيره؛ لأن قناته محدودة في المكان، فهو مرتبط بلحظة إنتاجه. أما النص فله ديمومة الكتابة؛ فهو يقرأ في كل مكان و زمان[٤٦].

هذا و يذهب فانديك إلى أن الخطاب بنية لا تنفك من اللغة كما تقدم الكلام، وهي بنية كلية عامة تتمثل في : المقدمة، المشكلة، الحل، بالإضافة إلى بنيات جدلية متعددة الأنواع[٤٧].

و أخيرا فإن ثمة باحثين آخرين (في طليعتهم ميشيل فوكو) نظروا إلى الخطاب بوصفه بنية كلية تستوعب النص، أو مجموعة النصوص، و من هنا جاء في وصفهم للخطاب بأنه : "الطريقة التي بها تتشكل الجمل مكونة نظاما متتابعا تسهم به في تشكيل نسق كلي مغاير و متحد الخواص، و على نحو يمكن معه أن تتألف الجمل في خطاب بعينه لتشكل نصا مفردا، أو تتألف النصوص نفسها في نظام متتابع لتشكل خطابا أوسع ينطوي على أكثر من نص مفرد[٤٨].

---

[٤٤] الخطاب و التص، ص : ١٢٥، و انظر : سعيد يقطين : انفتاح النص و الروائي، ص : ١٦.

[٤٥] نفس المرجع، ص : ١٢٥.

[٤٦] .نفس المرجع، ص : ١٢٥.

[٤٧] انظر : مقدمة في نظريا ت الخطاب، مرجع السابق، ص : ٣١.

[٤٨] المرجع السابق، ص : ١٢٦، و انظر : النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدان، ترجمة : جابر عصفور، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، ط١، ١٩٩١، ص : ١٦٨.

و لقد اعترف مخائيل استوبس Michael Stubbs بما يعترى النص و الخطاب من غموض و خلط، و لكنه يرى – في الوقت نفسه – أن الاختلاف بينهما اختلاف ضئيل لا يجعله يأمل في تأسيس فارق نظري مهم بينهما. و لكنه يعود – في محاولته التمييز بينهما – إلى تقديم بعض الملحوظات المفيدة :

١. فنحن نتكلم غالبا عن " النص المكتوب" في مقابل "الخطاب المنطوق".

٢. و غالبا ما يعنى " الخطاب" الخطاب التفاعلي على حين يكون النص مونولوجيا غير تفاعلي، سواء في ذلك أن يكون مونولوجيا منطوقا جهرة أم غير ذلك[٤٩].

التمييزات السابقة نرى لها نظيرا في الثقافة العربية، بينما ارتبط النص بالمتن أوناتج العملية الاتصالية، إذا بالخطاب يرتبط بالاتصال الشفاهى المباشر من ناحية، كما يرتبط بحضور الطرف الآخر في العملية الاتصالية و تفاعله على نحو ما و أداء وظائف أيدولوجيا من ناحية أخرى[٥٠].

الخطاب و النص عند الباحثين العرب :

يتضح أن بعض الباحثين العرب[٥١] الذين أبدوا في الآونة الأخيرة اهتماما ملحوظا بدراسة النص و الخطاب، قد أخذ يحذو – في عملية التمييز بين النص والخطاب – حذو هذا الباحث أو ذاك من الباحثين الغربيين :

فمن باحث يحاول إقامة الفرق بين النص و الخطاب على أساس أن بينهما عموما و خصوصا، أي على أساس أن الخطاب يعد مصطلحا أكثر سعة من النص، وإن كان مبنيا من عدد لا متناه من النصوص، و ليس من الأعمال[٥٢]، لأن العمل في منظور هذا الباحث، عبارة عن " مرسلة تنتمي إلى مرسلها ". أما النص فعبارة عن فعالية تلق تفتح هذه المرسلة على ما سواها مما تستدعيه لغتها، قصدا من المرسل أودون قصد منه[٥٣].

---

[٤٩] Stubbs, Michael: Discourse Analysis. Basil Blackurll. P:9.

[٥٠] د. محمد العبد : النص و الخطاب و الاتصال، ص : ٩.

[٥١] يأتي في طليعة هؤلاء الباحثين العرب الباحث المغربي سعيد يقطين الذي كرس الكثير من جهوده في دراسة و تحليل الخطاب و النص، و بخاصة في كتابيه : تحليل الخطاب الروائي، و انفتاح النص الروائي.

[٥٢] انظر : في هذا مثلا: محمد فكري الجزار في : العنوان و سيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨ م، ص : ٣٧.

[٥٣] نفس المرجع.

و هذا يقتضى أن العمل يتمثل فيما نقوله أو نكتبه، أما النص فيتمثل فيما نسمعه أو نقرؤه، فالأول متعلق بعملية الإرسال، أما الثاني فمتعلق بعملية التلقي.

و إذا كان هذا الباحث قد أقام الفرق بين النص و الخطاب على أساس أن بنية الخطاب بنية كلية تستوعب النص أو مجموعة النصوص، فإن باحثا آخر(٥٤)، قد رفض الفرق القائم بين النص و الخطاب على هذا الأساس، معتبرا هذا التوجه الذي أعطى الخطاب قدرة احتضان النص، اتجاها معاكسا لما كانت قد طرحته جولياكريستيفا عن النص ، إذ نظرت هذه الباحثة إلى النص بوصفه أعم و أشمل من الخطاب، أوبوصفه أكثر من مجرد خطاب أو قول؛ لأنه موضوع للعديد من الممارسات السيسولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة لغوية؛ باعتبار أنها مكونة بفضل اللغة، و لكنها غير قابلة للانحصار في مقولتها(٥٥). هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن هذا الباحث قد أخذ يرفض فكرة " احتضان الخطاب للنص " معتبرا أن للنص وجودا في ذاته، كما للخطاب وجودا في ذاته، و أن الخطاب يحتضن عملية التوصيل بجهازها الثلاثي، فهو ينتسب إلي مصدر (متكلم) و يمتد إلى متلق (مستهلك)، دون أن تتوقف ماهيته على هذا أوذاك، و ربما لهذا ، كما يقول هذا الباحث ، كان الخطاب مهيئا لتقبل ثنائيات : الذات والموضوع، و الشكل و المضمون، و الداخل و الخارج، بينما يرفض النص التعامل مع مثل هذه الثنائيات(٥٦). فمن شأن النص ، في منظور هذا الباحث، أنه يحتفظ لنفسه بشرعية كونه دالا احتماليا، أو دالا مفتوح الدلالة، مهيئا للاستقبال، مثلما هو مهيأ للإرسال، مثله مثل البركان المكون من مجموعة ترسبات سابقة، لكنها تماسكت كينونة طارئة تتميز بأنها تقاوم أي إضافة إلا بعد مجاهدة واعية(٥٧).

---

(٥٤) انظر : الدكتور محمد عبد المطلب : النص المشكل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، يوليو ١٩٩٩ م، ص: ٥٦.

(٥٥) نفس المرجع.

(٥٦) نفس المرجع، ص : ٥٧.

(٥٧) انظر : نفس المرجع. و د. عبد الواسع الحميري : الخطاب و النص – المفهوم – العلاقة – السلطة، ص : ١٣٤ – ١٣٥.

و في نهاية هذا المبحث نورد موقف أستاذنا د. محمد العبد حيث يقول: " يظل التمييز بين النص و الخطاب من زاوية كون النص في الأساس بنية في مقابل كون الخطاب في الأساس موقفا هو التمييز السائد في أدبيات نظرية النص و تحليل الخطاب، بيد أن الإلحاح على ربط النص بمقاصده و وظائفه مما يعيد هذين المصطلحين في الاستعمال إلي دوائر متشابكة، يبدو فض الاشتباك بينهما أمرا عسيرا جدا[٥٨].

و يكمل هذا الكلام أنه قال : مهما يكن من أمر، فإن هناك فروقا أولية ينعقد عليها الاجماع نظريا، من أهمها ما يلي :

١. ينظر إلي النص في الأساس من حيث هو بنية مترابطة تكون وحدة دلالية. و ينظر إلي الخطاب من حيث هو موقف ينبغي للغة أن تعملها على مطابقته.

٢. يحصل من ذلك القول بأن الخطاب أوسع من النص؛ فالخطاب بنية بالضرورة ولكنه يتسع لعرض ملابسات إنتاجها و تلقيها و تأويلها. و يدخل في تلك الملابسات ما ليس بلغة كالسلوكيات الحركية المصاحبة إيجابيا للاتصال.

٣. النص في الأصل هو النص المكتوب، و الخطاب في الأصل هو الكلام المنطوق، ولكنه يتلبس بصورة الآخر على التوسع؛ إذ يطلق النص على المنطوق، كما يطلق الخطاب على المكتوب؛ كالخطاب الروائي.

٤. يتميز الخطاب عادة بالطول؛ و ذلك أنه في جوهره حوار أو مبادلة كلامية. أما النص فيقصر حتى يكون كلمة مفردة (مثل : سكوت!") و يطول حتى يصبح مدونة كاملة (مثل : رسالة الغفران").

٥. يرتبط ميل الخطاب عادة إلى الطول و الامتداد و الحوارية بتمكينه من التعبير عن وجهات النظر و المواقف المختلفة. إذا اتخذنا من خطاب الرواية مثالا رأينا أن دراسة الخطاب تجري ضمن كل مظاهر الرواية التي تتصل بها مفاهيم مثل : "الحوار" و"وجهة النظر" و "الموقف" و "رؤية العالم" و "نبرة الخطاب" و "اعتقادات المؤلف"، وأنواع الأحكام التي يصدرها، و شبكة العلاقات التواصلية بين المؤلف و الشخوص والقارئ الضمني ....الخ" [٥٩].

---

[٥٨] النص و الخطاب و الاتصال : ١١.

(٥٨) سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي، المرج السابق : ٤٢.

قائمة المراجع

ابن فارس : (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥ هـ) : مقايس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط دار الجيل، بيروت، ١٤٤هـ،١٩٩١م جـ٢.

ابن منظور : لسان العرب. دار المعارف، الطبعة الثالثة، جـ ٢.

إبراهيم عبد الله ، إشكالية المصطلح النقدي (الخطاب والنص) ، مجلة أفاق عربية ، بغداد ، السنة الثامنة عشرة ، آذار ، ١٩٩٣.

إبراهيم مصطفى وأخرون ، معجم الوسيط ، استانبول ، دار الدعوة ، ١٩٨٩.

أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

أ. د. أحمد عبد الرحيم السايح : الخطاب الدينى والواقع المعاصر. قضايا إسلامية سلسلة تصدر غرة كل شهر عربى، العدد (١٢٨)، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

الخليل بن أحمد الفراهيدى (١٠٠– ١٧٥ هـ) : العين، تحقيق : الدكتور مهدى المخزومى، إبراهيم السامرائى، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، ط١٤٠٨هـ١٩٩٨م.

الزمخشرى : (محمود جار الله) : أساس البلاغة، الذخائر ٩٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، قدم هذه الطباعة د. محمود فهمي حجازى.

د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص. دار عالم المعرفة، ط١، ١٩٩٤ م — ١٤١٤ هـ.

د. عبد الواسع الحميري : الخطاب و النص " المفهوم — العلاقة — السلطة". مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

د. عصام خلف كامل : مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية و اللغوية المعاصرة، دار فرحة للنشرر و التوزيع.

مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، دار الدعوة.

المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، بيروت ، دار المشرق ، ٢٠٠٠.

محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، ليبيا : مطابع أديتار، ب–س.

محمد العبد : النص و الخطاب و الاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط ١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

محمد فكري الجزار في : العنوان و سيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨ م.

محمود عكاشة, خطاب السلطة الإعلامي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مكتبة دار المعرفة، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

محمود عكاشة, محمود عكاشة : لغة الخطاب السياسى– دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

تون أ.فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات. ترجمة و تعليق دكتور سعيد حسن بحيري. دار القاهرة للكتاب، ط ١، ٢٠٠١ م.

ج. ب براون و ج. يول : تحليل الخطاب. ترجمة و تعليق دكتور محمد لطفي الزليطيني و دكتور منيرالتريكي. جامعة الملك سعود، ١٩٩٧ م.

دويوجراند، روبرت: النص والخطاب والإجراء. ترجمة دكتور تمام حسان. عالم الكتب – القاهرة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

ديان مكدونيل : نظريات الخطاب. ترجمة و تقديم دكتور عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠١.

Giglioli, Pier Paolo, *Language and Social Contex,* T.tp: Penguin Books, 1972.

Holmes, Janet, *An Introducction to Sociolinguistics,* Longman London and New York, t.p. 1992.

Marahimin, Ismail, *Menulis Secara Populer,* T.tp: PT Dunia Pustaka Jaya, 2001.

Rani, Abdul, *Analisa wacana, sebuah kajian bahasa dalam pemakaian,* T.tp: Bayumedia Publishing, 2006.

Stubbs, Michael, *Discourse Analysis,* T.tp: Basil Blackurll, t.t.